# النّص ومناورات التّفكيك
## تأمّلاتٌ في قراءات جاك دريدا الأدبـ-فلسفيّة

**The text and the maneuvers of deconstruction**
**Reflections on Jacques Derrida's literary-philosophical readings**

**مُحمَّد بكّاي***
**معهد الآداب واللّغات – المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر**
mohammedbekkaye86@gmail.com

| تاريخ الإرسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2023 / 04 / 17 | 2023 / 05 / 19 | 2023 / 06 / 01 |

### مُلخّص البحث

يمتاز حضور القراءات الأدبية بقوّة وكثافة في فلسفة جاك دريدا الملتبسة؛ فهو يستند إلى الأساليب الأليغورية والبيانية والمجازية في تقويض ثوابت القول الفلسفي ونخره في جوهره، لينفتح التّفكيك على الاتّفاق الازدواجي بين المتناقضات والأضداد، مقدِّما قراءة دائمة الالتفات تطوّح بالمعنى إلى أقاصي الصَّمت التأملي والعطاء التأويليّ. سنعالج، عبر هذا المقال، كيف أعاد دريدا طرح سؤال القراءة الفلسفية للأدب، وكيف قدّم قراءةً للأدب بعيون فلسفية، وكيف هزّ التفكيكُ صورةَ النّص بإثارة تساؤلات حرِجة حول الحدود والتّخوم والحواف والهوامش.

**<u>الكلمات المفاتيح:</u>** التفكيك، الإزاحة، التشظي، الإرجاء، النص، الكتابة، جاك دريدا.

* مُحمَّد بكّاي: mohammedbekkaye86@gmail.com

Abstract

The presence of literary readings is characterized by strength and intensity in Jacques Derrida's ambiguous philosophy, as it relies on allegorical, graphic, and metaphorical methods in undermining the constants of philosophical saying and gnawing at its essence, so that deconstruction opens up to the dual agreement between contradictions and opposites, in advance a perpetually attentive reading that leads the meaning to the extremes of contemplative silence and interpretive giving. Through this article, we will discuss how Derrida re-posed the question of the philosophical reading of literature, and how he presented a literary reading with philosophical eyes. And how deconstruction shook the image of the text by raising critical questions about borders, boundaries, edges, and margins.

**Keywords :** Deconstruction, displacement, dissemination, differance, text, writing, Jacques Derrida.

**مقدّمة**

ظلّت الكتابة الفلسفية عند فيلسوف التفكيك جاك دريدا (1930 – 2004) كتابة شعرية صارمة واختبارا ضروريا لدحض أوهام الإدراك والذّات الواعية المؤمنة إيمانا وثيقا باستحضار مواقع جاهزة للكشف والتأويل؛ إذ يظل التطابق والتماهي أو الوعي الذاتي داخل الخطاب مجرد وهم، أو مجرد ترسيمات هيكلية تفسّر تنظيما معينا لبنية النصوص، أمّا البنية التخريبية التي تمارسها الحفريات فيتعذّر الوصول إليها.

انطلاقا من ذلك، يمارس التفكيك تجربة السّؤال بامتياز وتخترق أسئلته قيم المنطق وتحطّم أصنام الحقيقة؛ فلا وجود لحقائق ثابتة سوى الإزاحات والتخريبات. أيقظ التفكيك، من خلال هذه القوّة المحمومة للسؤال، فتنته وبعث تجربة نصية حيّة وحيويّة تخوض فيها التأويلات والقراءات التي تتشيّأ وهي تخطّ نبوءات وتوقعات لزمن آت يُواصل فيه فعلُ القراءة رحلةَ التناسل. عبر صفحات هذا المقال، سنطرح سؤالا: أليس التفكيك حلما أو تيها؟ فالتشظي الذي يسمه يجعله متملّصا من كلّ تصوّر مركزي أو قيْد رمزي يلهث للقبض على مفهوم ثابت له شكل مادي. العمل الإرجائي للتفكيك قائم على الحيرة التي تفترسه وتحميه والمناعة الذاتية التي تخرّبه وتبنيه. ولهذا، سيظلّ التفكيك، عند دريدا، إشكاليا، بحيث يتعذّر إمساكه دلاليا أو إحكام قبضتنا المفاهيمية والاصطلاحية عليه.

وفقًا لدريدا، تصبح الفلسفة جزءًا لا يتجزأ من العلاقة بالأدب، تمامًا كما أن التفلسف لا ينفصل عن الحيوان والمرأة واللاّوعي...؛ فهي ليست مسألة استيعاب الأدب في الفلسفة أو العكس، بل

ترتيب حدودهما، لطيّهما، لتعقيدهما، لمضاعفتهما دائمًا مع الاهتمام بالفكر الاستعصائي، بالكتابة غير الصوتية التي تحدث في صميم هذه الترتيبات، داخل هذه الطيات؛ أي تلك المضاعفات والتعديدات. هذا ما يعاينه مقالنا، للدنوِ من فكرة الأدب في فلسفة التفكيك الدريدية، لأنّ الأدب لم يتضرّر من كل الفلسفة ما دام لا يستقلّ عنها، وكان من الممكن أن يتطوّر بعيدًا عنها؛ فالأدب ظهر وتطوّر في شبكات العلاقات التي تتبعها الفلسفة. بعبارات أخرى، الأدب مشبع بها، يتقاطع مع مفاهيمها وتحديداتها ومنطقها. ويبدو أن فكرة الأدب ذاتها لا تنفصل عن الافتراضات الفلسفية المتعلقة بالفكر والكتابة والصوت والمعنى والذات وما إلى ذلك. كما يبرز المقال أن الممارسة الأدبية نفسها تتوافق مع هذه الافتراضات، وأن الأعمال قد أنتجت من لدنها من وجهة نظر معينة؛ فهي، في الواقع، فلسفة في شكل آخر. وفي هذا المستوى، أيضًا، يمكن للأدب أن يكشف عن لا – تفكير فلسفي، وهو، في هذه الحالة، غير مدروس للأدب في الوقت نفسه. لذلك، يفضّل دريدا الأعمال التي تعمل في حركتها ذاتها على التجلّي والتفكيك العملي للتمثيل الذي كان لدينا من الأدب.

**1. التفكيك النصي والتعدد الدلالي**

اقتحم التفكيك النصوص الأدبية من خلال ابتكاره مفاتيح جديدة للتشريح وإعادة البناء، مثل الإرجاء والأثر والقبلي والتشتيت والأبوريا، وتجنّب كل تصور أو مفهوم متعال يحيط بالنص؛ فمن وجهة نظر التفكيك، يغطّي النص سِرّا، وإن كان لا يمكن الوصول إليه. هنا، نلتقي مع فرضيات التفكيك التي تحاول تقديم فلسفة مختلفة للنص الأدبي تقوم على إعادة التصور في ميتافيزيقا الوجود وتشظي النصية (Textualité)، من خلال كثرة وجوهها وتعدد دلالاتها.

يطرح التفكيك هذا السّؤال: هل يمكن قراءة الحقيقة في ثنايا النّص؟ ليس الأمر بهذه السّهولة! كما لو أن الحقيقة ضاعت على الطريق لتصبح نصّا أو نسيجا؟ كما لو كانت وظيفة الناقد هي العثور على الحقائق مرّة أخرى عن طريق عمل القراءة. النص هو مجلى كما يحيل عليه تأثيله اللساني، وهو يتوسط الذات ورؤيتها للعالم. ولهذا، تهجر القراءة التفكيكية الأشكال المسطحة والمقفلة وتخترق حجب اللغة لتلتحم بالخيالي والكوني والحلمي والعجائبي، وهو ما يتكثف داخل البياضات النصية. هل تفكيكُ النص فتحٌ لشهية فهمه وتأويله؟ إنّ عناء النّص قد لا ينقل الانطباع الصّحيح أو الانفعال الواعي والتّواشج النرجسي للذات وإيهاماتها وتماهياتها مع النص. وبالتالي، يكون النّص مضلّلا بوضع الحدود البلاغية بين حقيقة الأشياء والنص. لذلك، ينفض التفكيك كاستراتيجية قرائية لكشف الأبعاد الصامتة والمقنعة للشبكات النصية.

كما يقوم التنصيص التفكيكي باعتباره قراءة منتجة وفعالة على فلسفة اللعب ومهارات الانزياح والاعتماد على فينومينولوجيا الغرائبية كما يسميها عمر مهيبل، لأن "لعبة اللغة التي مارسها لعبة بالغة الخطورة، فعوض أن نتملّكها تتملّكنا، وعوض أن نسكنها تسكننا هي، وعندما تختل موازنة التواصل – الإفهام التي يتحدّد وفقها مفهوم اللغة ذاته، قد تتحوّل هذه اللغة إلى مجرّد ثرثرة بتعبير هيدجر"[1].

لهذا، يتم التّحيز للخارج فقط، ويتمّ، بالمقابل، إخفاء حقيقة الأشياء النصية بعيدا في الدّاخل وهو ما يخيف دريدا، لأنه لا يمكنه قول أكثر مما ينبغي. من هنا، يسعى المنطق التفكيكي إلى كشف التمييز بين النسيج النصي من جهة، والمتعالي (معناه أو الحقيقة) من جهة أخرى.

إنّ التفكيك يهزّ صورة النص بإثارة تساؤلات حول الحدود والتّخوم والحواف والهوامش. من هذا المنطلق فإنّ مجرد ترسيم الحدود، هو معارضة المفاهيم مع بعضها البعض، وتحديد شروط خلافاتها. هو العيش على الحدود الفاصلة، فما هي هذه الحدود الفاصلة في النص؟ وكيف تتحقّق؟

**2. النص والمعنى المؤجّل**

ينفتح التّفكيك على الاتّفاق الازدواجي بين المتناقضات والأضداد، في الجمع بين الثنائيات المتناحرة، وهو ما يترجم استحالة حدوث السيادة الخالصة والواحدة للنص. عبر هذه الازدواجية، يظل التفكيك قراءة دائمة الالتفات تطوّح بالمعنى إلى أقاصي الصمت التأملي والعطاء التأويليّ. هذا العصيان النصي المطلق للتفكيك لا يكفّ عن التجاوز والارتقاء الأنطولوجي لبلوغ ذلك اللّغز المبطن بالفراغ والخلاص الجامد. التفكيك هو قراءة فلسفية مثيرة للأدب، أين يهمس الاختلاف (différence) بشكل متجذّر بحثا عن المؤجّل دوما (différance). نصوص دريدا الأدب – فلسفية هي فسيفساء تأشيرية للأشكال الأبورية[2] للخطاب، مثل المفهوم الليوتاري[3] للصّراع الذي لا يمكن حلّه إلى حدّ ما لعدم وجود حكم من الأحكام ينبطق على هذه الموجة الاستطرادية للحديث والاختلاف.

يمتاز حضور القراءات الأدبية بقوّة وكثافة في فلسفة دريدا الملتبسة؛ فهو يستند إلى الأساليب الأليغورية والبيانية والمجازية في تقويض ثوابت القول الفلسفي ونخره في جوهره. التفكيك عبارة عن مراس ملتوٍ يضاهي الغياب المثقل للوجود، للمعنى المعلّق في مجرّاته، التفكيك بحث مضن عن المعنى – في – النص كما يبحث الأنطولوجيون عن صلة الوجود – في – العالم.

من ذلك المرح اللّغوي والموجة البلاغية العاتية (مفهوم اللّعبة)، تتفتّق معضلة القراءة النظرية للأدب. وهنا، يتجلّى العنصر الفلسفي في قراءة ما تمّ التخلّي عنه داخل النص، ما هو خارج الوجود. قراءة التفكيك للأدب هي عناد عصيّ لبلوغ حاجة في استكانة النصوص وصمتها المفرط، قراءة تنزع إلى "داخل الدّاخل" بطريقة حساسة وبوهيمية وشرسة وممتنعة عن الفهم. يراود دريدا اللغة والسطوح النصية والأشكال اللسانية التي جادت بها البنيويات، بل إن تفكيكاته عبارة عن قراءات هاربة تمجّد التعثّر وغرابة المجهول ومديح العزلة وإيقاع الما بعد، التفكيك الدريدي طرح إشكالي لقسوة "الكيفية"[4]. وهناك تبرز المعضلة التأويلية في فهمٍ بارزٍ للحظة الوعي القرائي التي تنفتح على وفرة المعاني وكثافة الدّلالات التي يتضاعف خطرها أمام إيماءات النّص وتضميناته وهيروغليفياته. من هنا، لا يقترح دريدا تنظيرا محدّدا للأدب، يبدو وكأنه عماء تفكيكي أو خطر أنطو-هيرمينوطيقي، حيث لا يؤذن في نهاية المطاف بأي شيء، بقدر ما يؤذن بسواد حالك يصعب التحرّر من عتمته الدلالية وخطورته الفكرية؛ فكيف يقرأ ويكتب دريدا بمهارةِ مفكّكٍ عن نصوص الصَّمت والفراغ

والنسيان؟ إنه يلجأ بنوع من التهكُّمية اللغوية إلى تقويض مدلولات النّصوص واللّعب بدوالها. هكذا، يتهرّب دريدا من وضع شروط منهجية أو تحليلية للنّص، مقابل ذلك يقوّضه دون هوادة أو رحمة، ليشكّك في الأسس الثابتة للنصية ويقوّض دعائمها، كاشفا عن لبسها وتصادماتها.

**3. الكتابة وتفكيك لامنطوقية النص**

"التفكيك" هو قراءة تستبعد الأحادي وتستنطق اللامرئي وتعيد النظر في نسق العلاقات اللغوية داخل التوليف النصي، أو هو رؤية نقدية تراهن على أفول حقيقة النص بحثا عن تشنّجاته وتغيراته وزحزحة مراكزه وطبقاته، لأنّ "اللغة نفسها تجد حياتها مهدّدة، حائرة، هائمة، بلا حدود، محالة إلى نهائيتها الخاصة، في الوقت الذي تبدو فيه حدودها ممحوة، وفي الوقت الذي تكفّ فيه عن الاطمئنان على نفسها، وتجد أيضا ذاتها محتواة بواسطة المدلول اللانهائي الذي يبدو متجاوزا لها"[5].

لهذا، نبّه التفكيك إلى كثافة اللغة وخصوبتها وعمقها، حيث يتشابك ويتكاثف الخيال والأفكار والحروف لرسم رؤية وجودية مستعيدة الأثر الغائب للتزلف من مشهدية الكتابة واحتمالية السؤال. بعبارة أخرى، شّيِدت مساعي التفكيك على متتاليات من النقاط العمياء التي تجعل البصيرة النقدية للسّعي إلى حقيقة ثابتة ومحدّدة مشكلة عميقة وعقيمة في الآن عينه. "حينها يتحوّل الأثر إلى منطقة خصبة لعمل الفكر، بقدر ما يغدو حقلا للحفر والتنقيب أو فضاء للتفسير والتأويل أو مخزونا للاستثمار والتوظيف"[6].

الكتابة، بالمفهوم الدريدي، لعبة أو استراتيجية تندرج ضمنها مقولة الأشباح التي يحكمها فقه التبعثر والتشتيت [dissémination]. الكتابة فعل نهم للهدم وعرضة للاّطمأنينة. من ذلك الموقع الملتبس، تخلخِل مقولة الشّبحية أوهامَ الحضور معلنةً عن مدى زيف الصّورة، والتنقيب عن بنياتها الوهمية والمصطنعة، الواهية والكاذبة، الكتابة الشبحية اصطدام بالواهي والزائف والمستحيل. ولهذا، يمارس التفكيك دينامية قرائية تقلب المنطق الوهمي للقراءة المهيمنة، عن طريق الحلّ والفكّ، عبر تجلِّيات تكرارية تؤجّل نهايتها في كل مرّة. ينعش هذا التّهديد التفكيكي حياة النص، ويكثّف القراءة ويمدّد المعنى. ولهذا، تظلّ القراءة التفكيكية عملية ترميمية لا ينتهي أمدها، أو لعبة متناقضة وساخرة في وجه النّقاء الخالص لنصية النص كما تتوهّمه القراءات الجامدة. الاختلاف الذي يمارسه التفكيك إرجائي البنية غير واضح المعالم والهوية، يمارس ضربا من الحصانة الذاتية؛ حين يصحّح الفارماكون نفسه بطريقة ضدية[7].

إنّ القراءة التي يرومها التفكيك الدريدي حركة منفتحة على اللانهائي، إطلاق لرحابة اللغة في فهم مكنونات النصوص، وطاقة تحليلية ومهارة تأويلية في الكشف عن درجة الالتباسات وفداحة الطّمس الذي تقترفه القراءات العادية المهندسة مسبقا. ونظرا لهذه الإكراهات التحليلية، تصبو الاستراتيجية التأويلية للتفكيك إلى تحويل ذلك الوهم والتطويق القرائي إلى اشتغال كثيف لإنتاج المعاني؛ أي هي استراتيجية تنصهر فيها المحتويات الشكلية والصورية وتجدّد شبكتها المعرفية وآلياتها

التحليلية من داخل النص. وكما نعلم أنّ التفكيك فكر مزيج بين الفلسفيّ والأدبي؛ فهو يباغت المنطق الداخلي للنصوص؛ أي لا يمثل قراءة لنفي البنية النصية، لكنه يخاطب الطيّات والأعماق، ما ينطوي بداخله ولا يمكن حسمه أو البتّ فيه باللغة.

غايات التفكيك هي التسلّل إلى لامنطوقية النص الذي يتحرّك في أحشائه. بعبارات أخرى، التفكيك لغة توسّع آلياتها في فهم المنطوق وكشف المستور؛ فاللامنطوق النصي ينتظم همسا أو إشارة أو فراغا إمكانيا لهندسة اللغة العرفانية نفسها ويعيد ترتيبها. يلتبس التفكيك بعرفانية خطابية تتعلق أكثر بالبياضات والصّمت المطلق وما يتجاوز اللغة، حيث تفشل وتتعثر في بلوغ مرامها. يعيد المنحى التفكيكي رسم خرائط النّص ومنعطفات الكتابة والتوتر الداخلي الذي يحكم النص ليمثل لحظة جذب ويقظة بالنسبة لدريدا. ما هو قائم بين البناء والهدم والمنطوق واللامنطوق؛ أي الجمع بين إمكان الوجود وعدمه أو بين سيلان اللّسان وانسحاب اللغة[8].

**4. صخب التفكيك بين الفلسفي والأدبي**

يفضح التّفكيك بصمت أو بصخب صامت كلّ وعود الفلسفة الشّفافة وسياسات العقل الرّاسخة في تأسيسها لحقيقة قائمة لا يمكن رجّها، متمركزة حول ذات واعية متحدّثة متفردة بكينونتها. حاولت هذه الوعود رسم خرائط الذّات كأنا متجلية حاضرة ومتأكّد منها، وتمثيلها واستحضار صورها عبر التّماهي والتطابق؛ أي النظر إلى الذات كظاهرة تتمثل حضورها ووجودها عبر الوعي بذاتها. وهو ما حرص على ترسيخه الفكر الفينومينولوجي في بدايات القرن الماضي مع مباحث هوسرل وتطورت مع هايدجر وميرلوبونتي. لكن التفكيك يلتفت إلى الضّفة الأخرى للأنا، حيث تقبع أطيافها وتتكاثر أغيارها، إلى البعد غير المرئي. لهذا، الهو الملوّث بالآخر، والمُصاب به الذي يلبس لبوسه ويتلوّن بألوانه ويرتوي باختلافاته. التفكيك تشكيك في ركود الهوية إلى أصل ثابت يحتمي بيقينٍ زائف، بإقحام الآخر أو الغير (L'autre) الذي يعتبره جاك دريدا سابقا لنا في كلّ مرة ندّعي فيها وضوحه واستقراره وأحاديته المكينة التي لا تقبل الانفتاح ولا التعدّد ولا الانشطار، التفكيك مقاومة لكلّ التعاليات الظاهرية الممكنة لتصوّرات الأنا المثالية (Le moi idéal) والمرئية أو تلك الصّور الجاهزة لذواتنا وأنفسنا[9].

مزج دريدا قراءاته النقدية بتأمّلاته الفلسفية؛ فهل استبصاراته التفكيكية لنصوص بلانشو (Blanchot) وجابيس هي قراءة فلسفية أم قراءة أدبية؟ هل كثافة الجانب الأنطولوجي داخل نصوص مالارميه وجونيه وأرتو هي التي استدعت مهارات دريدا الفلسفية للارتقاء بالتّأويل، واصطياد المعنى داخل متاهات النص؟ لا ينفكّ التفكيك عن طرح سؤال القراءة الفلسفية للأدب في بداياته الفكرية الأولى في السبعينيات؛ فكيف قدّم قراءةً للأدب بعيون فلسفية؟ كمفكّك أم هرمينوطيقيّ؟ محلّل أم ناقد أم فيلسوف في تعاطيه للأدب؟ ما لا يقبل الشّك أن دريدا ينتفض ضدّ كلّ هذه الأدوار، لأن التفكيك يمتنع عن أي تحديد طوبوغرافي يحبسه. كناقد أو مؤول، ينفتح دريدا على تخلي الذات

والإقبال على الإخفاق والعجز الأنطولوجي؛ فقد "زُجّ بنا خارج الوجود، في مجال الخارج الذي يمشي فيه الناس المنكسرون بخطى متساوية ومتثاقلة، يغدون ويروحون وهم جامدون"[10]. ليظلّ لاعبا ماكرا، أو متململا لا يبقي على نقاء أو صفاء داخل استراتيجياته التفكيكية غير القابلة للاستقرار والثبات. كيف يمكن القبض على غايات التفكيك الدريدي؟ إذا كانت له غايات حقيقية أصلا! فهو أبديّ التملّص والانفلات، كمتتبع لظلّ خافت هارب لا يخضع لقوانين الثبات والاستقرار؛ فكيف سيلبّي التفكيك قراءته للأدب؟ وكيف يمكنه الانفلات من متاهات المعنى وصروح النص المتهالكة جرّاء التقويض؟ يعوّل التفكيك على الخراب النصي والأشلاء المتناثرة من النسق اللغوي؛ فإزاحة المركز النصي هي نأي عن التجربة الظاهرة التي تستميت الدراسات الصورية لرصدها، التفكيك تجربة قرائية كثيفة لمعالم الكتابة والسيرورة اللانهائية لمعناها، لتجربة فقد المعنى الوهّاج والمنطفئ في آن.

نحن نعلم أنه بعد نيتشه، تمكّن دريدا من تحديد الأدبي في الفلسفي، حيث تتعامل "الميثولوجيا البيضاء" مع العلاقة بين الفلسفة والاستعارة، مع التضمين المركزي للاستعاري في المفهومي. إذا كانت الاستعارة، إلى حدّ ما، هي الانعكاس الخفي للمفهوم؛ فسيكون على دريدا تسليط الضوء على الاستعارات الفلسفية وتحريرها في الخطاب الفلسفي: ما الذي أرادت الفلسفة أن تنفيه، دون أن تكون قادرة على القيام به؟ دون أن تكون بمثابة استجواب وزعزعة لاستقرار النظام المفاهيمي. يجب أن نفهم الاستعاري هنا ليس كوسيلة مناسبة للتعبير عن الفكر الفلسفي ليكون مستقلاً. على العكس من ذلك، يُظهر دريدا أن الاستعارة ضرورية لوجود الفلسفة ذاتها، وأن هناك أدبًا في قلب الفلسفة. هذا يطمس الحدود التي أرادت أن تكون محكمة بين الفلسفة والأدب، بين النظام المفاهيمي والنظام المجازي، بين العقلاني والحسّي (تُعرَّف الاستعارة على أنها دلالة حسية). إن تسليط الضوء على الاستعارات الفلسفية، وإبراز الجزء الأدبي من الفلسفة، له هدف حاسم هو الكشف عن الشروط غير المعترف بها وغير المدروسة لهذا النظام الفلسفي أو ذاك، لتحويل هذه الشروط ضدّ النظام نفسه من خلال تكاثر البعد البلاغي وتعدّد المعاني في الاستعارة. بهذا المعنى، يتم استخدام الأدب بشكل فعّال لإظهار شروط الفكر الفلسفي وحدوده: يمكن للأدب أن يكشف عن الفلسفة غير المفهومة، ويصبح الأدب ما يهتم به الفيلسوف على الفور وبشكل أساسي.

سيكون اختزال العلاقة بين الفلسفة والأدب عند دريدا في هذا الجانب غير كاف. الاستعارة، أيضًا، بصرف النظر عن دورها الحاسم، توليدية؛ فهي تقود الأنظمة الفلسفية في اتجاهات جديدة، وتضاعف هذه الأنظمة لإعادتها إلى الانحراف والتناقض، لأنها كانت تقوم بمهمة إزالتها. الاستعارة هي أيضًا توليدية؛ بمعنى إن دريدا طوّر فكرًا يدمج فيه الاستعارة (راجع على سبيل المثال الطبلة Tympan في كتابه هوامش الفلسفة) مع فكر فلسفي متناقض لا ينفصل عن استعارات – التي لم تعد مجرّد استعارات فقط – تتكاثر وتتضاعف بشكل غير واضح المنطق والمفاهيم، و، بالتالي، افتراض وتحرير الأدبي في الفلسفي، لدرجة جعلها غير قابلة للتمييز (ولكن غير متطابقة).

ومع ذلك، فإن العلاقة بين الفلسفة والأدب عند دريدا لا يمكن أن تتمحور حول هذا السؤال وممارسة الاستعارة. لا يختزل دريدا الأدبي في الاستعاري، على عكس ذلك: مفهوم الاستعارة هو في، الأساس، مفهوم فلسفي، والاختزال الأدبي إلى الاستعاري يشكّل الاختزال الذي تديره الميتافيزيقا لإتقان الأدبي وطرده وإدماجه في آن معا. إذا كان هناك بُعد حاسم وتخريبي للاستعارة عند دريدا، فإن قصور علاقته بالأدب على هذا البعد وحده يرقى إلى عدم الابتعاد عن الخطاطات التقليدية للفلسفة، لأن هذا ما يحدّد الأدب وعلاقته الخاصة على أساس فكرة الاستعارة. إذا كانت الاستعارة أدبًا وفقًا للفلسفة، ستكون مسألة استخدام الاستعارة عودةً للتفلسف، لنشر الفلسفة وتضمين الخارج في شكل استبعاده. لكنها ستكون مسألة تتعلق بالأدب – وبالفلسفة أيضًا – بشكل مختلف: وفقًا لمنطق الحدّ والطيّة والإرجاء/ الاختلاف.

**خاتمة**

ختاما لهذا المقال الذي طاف على بعض المواقع الحسّاسة للتفكيك الدريدي في قراءاته الأدب-فلسفية، نخلص إلى ما نراه يستحق التوسع البحثي داخل إشكالاته:

- يبدو التفكيك سياسة مستعصية على الحلّ أو استراتيجية ترتبط بالأشكلة أكثر ممّا ترتبط بالحلول.
- ما قام به دريدا هو توسيع للحقل الفلسفي، نسف لحدوده، أو استراتيجية للإزاحة والتجاوز تقوّض الممكن وتنشّط المستحيل في آن واحد.
- تنطوي الإرجاءات الدريدية على رهانات حرجة للفلسفة والمفاهيم، وترسم لنفسها تجاوزا هائلا للبعد الصّنمي للفكر.
- يتردّد التفكيك كاستراتيجية نقدية تتمفصل بين الأشياء وأضدادها؛ فتنزاح عن تجربة الحدّ القاهرة والأسّ الذي لا يمكن خلخلته أو دحضه.
- التفكيك عمل يباغت حضورية النص ومركزيته، يراهن على ما هو غير قابل للوصف أو التسمية؛ أي ما تفقد فيه اللغة براعتها النظامية في التعبير عنه.
- دافع دريدا عن فكرة مفادها أن الكتابة نفسها هي أصل اللغة، وهي تحافظ على مرجع غير محدّد، بعبارات أخرى، هي لعبة لا معنى لها داخل اللّغة.

## الهوامش

[1] - عمر مهيبل، من النسق إلى الذات: قراءات في الفكر الغربي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص: 72.

[2] - من مصطلح أبوريا (Aporia) بمعنى المعضلة.

[3] - نسبةً إلى الفيلسوف الفرنسي فرانسوا ليوتار (Lyotard).

[4] - Jacques Derrida, *Positions*, Ed : Minuit, 1972 p. 93, 58.

[5] - جاك دريدا، الغراماتولوجيا، ترجمة وتقديم: أنور مغيث ومنى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2008، ص: 65.

[6] - علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص: 139.

[7] - Jacques Derrida, "*La Dissémination*", Ed : Seuil, 1972, p : 159.

[8] - محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص: 115.

[9] - ينظر: فتحي المسكيني، الكوجيطو المجروح: أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة، منشورات ضفاف، لبنان، دار الأمان، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص: 13.

[10] - موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، ترجمة: عز الدين الشنتوف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2018، ص: 57.

## المصادر والمراجع

**العربية**

الزين (محمد شوقي)، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2002.

المسكيني (فتحي)، الكوجيطو المجروح: أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة، منشورات ضفاف، لبنان، دار الأمان، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013

حرب (علي)، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2010،

مهيبل (عمر)، من النسق إلى الذات: قراءات في الفكر الغربي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007،

**المترجمة**

بلانشو (موريس)، كتابة الفاجعة، ترجمة: عزّ الدين الشنتوف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2018.

دريدا (جاك)، الغراماتولوجيا، ترجمة وتقديم: أنور مغيث ومنى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2008.

**الأجنبية**

Jacques Derrida, *Positions*, Ed : Minuit, 1972.

Jacques Derrida, "*La Dissémination*", Ed : Seuil, 1972.